الأخبار ٢٩-٠٣-٢٠٢١

الهجرة تتزامن مع زيادة في كبار السنّ وتناقص عدد الأطفال: المجتمع اللبناني يتحوّل نحو الشيخوخة

علي فاعور

استمرارية المجتمع اللبناني مهدّدة بسبب تفكّك الأسرة. هذا ما تكشفه دراسة تطوّر بنية السكان على مدى السنوات الـ٢٥ الماضية؛ فالمعطيات المستخرجة من المسوحات المنفّذة في هذه الفترة، كشفت عن تراجع في حجم الأسرة يتزامن مع تقلّص عدد صغار السن. باختصار، هذا المجتمع يتحوّل نحو الشيخوخة. لا شكّ في أن تطوّراً كهذا يرتّب أعباء هائلة على الاقتصاد والمجتمع في السنوات المقبلة. لبنان يخسر رأسماله الحقيقي، سواء عبر هجرة الشباب أو تناقص عدد الأطفال. بمعنى آخر، إن الأسرة تمثّل صمام أمان يترتب حمايته سريعاً عبر الإسراع في وضع سياسة سكانية تخطّط لمستقبل لبنان حمايةً لاستقرار الأسر والحفاظ على الموارد البشرية

في عام ١٩٩٨ نشرت وزارة الشؤون الاجتماعية «خارطة أحوال المعيشة في لبنان»، وهي عبارة عن دراسة تحليلية لنتائج مسح المعطيات الإحصائية للسكان والمساكن التي نُفذت في عام ١٩٩٦. بعدها نفّذت إدارة الإحصاء المركزي مسوحات خلال أعوام ٢٠٠٤ و ٢٠٠٧، و٢٠٠٩. وبعد ١٠ سنوات على المسح الأخير، نفّذت إدارة الإحصاء مسحاً للقوى العاملة والأحوال المعيشية للأسر بين عامَي ٢٠١٨ و ٢٠١٩، وهو أول مسح بعد عام ١٩٩٦، ينتج تقديرات على المستوى الوطني ومستوى المحافظات والأقضية. المقارنة بين نتائج كل المعطيات الواردة في المسوحات، كشفت عن تطوّرات خطيرة في بنية التركيب السكاني: أدّت الأزمات الاقتصادية والمعيشية والصراعات السياسية إلى تزايد موجات هجرة الشباب وانخفاض معدل الخصوبة العامة للمرأة، وانعكس ذلك في تقلّص حجم الأسرة.

تراجع حجم الأسرة

تغيّر كثيراً حجم الأسرة بين عامَي ١٩٩٦ و٢٠١٨. كان عدد أفرادها يبلغ ٦ أفراد في عكار والمنية الضنية والهرمل، بينما بلغ متوسط حجم الأسرة لعام ٢٠١٨، ولا سيما في ضوء زيادة عدد السكان المقيمين (مع غير اللبنانيين)، نحو ٣,٨ أفراد مع تفاوت شاسع بين الأقضية (ينخفض إلى نحو ٣,٣ في قضاء جزين، و٣,٤ في بيروت وأقضية كسروان والبترون وراشيا، و٣,٥ في المتن وبشري).

وقبل نحو عشر سنوات من المسح الأخير، أي في عام ٢٠٠٩، نُفّذ المسح العنقودي المتعدّد المؤشّرات حول الخصائص السكانية. أظهر هذا المسح تراجعاً في معدلات الخصوبة وانخفاضاً في معدل عدد الأولاد للمرأة الواحدة إلى ١,٩. وبشكل عام، بلغ متوسط عدد الأولاد لكل أسرة، ولدين اثنين تقريباً. يومها كانت تركيبة الأسرة تتضمن في عام ٢٠٠٩ ترؤس النساء لنحو ١٥% من الأسر، من بينهن ٤٥% يبلغن ٦٥ عاماً وما فوق وهنّ أرامل وأميّات وأكثر من نصف هذه الأسر ليس فيها أعمار شابة، أو رجال يعيشون مع الأسرة. وتبيّن أن ٦% فقط من إجمالي الأسر التي لديها أطفال دون ١٥ عاماً، فيها خمسة أطفال أو أكثر، و٥٦% من السكان عازبون إلى جانب قلّة تبلغ ٥% من الأرامل والمطلّقين والمنفصلين وارتفاع في نسبة المسنّين الذين يبلغون ٦٥ عاماً وما فوق مقارنة مع البلدان المجاورة.

طرأت تحوّلات واضحة على تركيبة الأسر بعد عام ٢٠٠٧. ففي هذه السنة، كانت ٧,٣% من إجمالي الأسر مؤلّفة من فرد واحد وغالبيتها مسنّون ونساء وأرامل ومطلقات. لكن في عام ٢٠١٨ ازدادت نسبة الأسر المؤلفة من فرد واحد إلى ١٠,٢%، و١٨% للأسر المكوّنة من ٢ فقط (نسبتها مرتفعة في بيروت وجبل لبنان ما عدا الضاحية الجنوبية لبيروت التي سجّلت نسبة مرتفعة من الأسر المشكّلة من خمسة أفراد وأكثر، إلى جانب عكار والهرمل). أما الأسر المكوّنة من

٥ أفراد وأكثر فهي قد باتت تمثّل بين السكان المقيمين نحو ثلث مجموع الأسر المعيشية في لبنان.

وبموازاة ذلك، أظهرت الإحصاءات انخفاض عدد الأولاد في الأسرة في عام ٢٠٠٩ بسبب ارتفاع متوسط عمر المرأة عند الزواج الأول إلى ٢٧,٧ سنة. ثم تبيّن أنه في عام ٢٠١٨ انخفضت نسبة الزواج المبكر إلى ٣,٨ % للفئة العمرية ٢٠-٢٤ سنة. وتزامن ذلك مع ارتفاع في نسبة الذكور المقيمين الذين يتزوجون في عمر دون ٣٠ سنة، إذ لا تتعدّى نسبتهم في عام ٢٠١٨ نحو ٦,٥ % فقط، كما أن نسبة المتزوجين دون ٣٥ سنة تبلغ ١٥,٤% فقط.

أما على صعيد المحافظات، فقد ارتفعت نسبة غير المتزوجين من الجنسين إلى أكثر من ٣٦% في بيروت وجبل لبنان، و٤٠% في عكار.

أدّى ذلك إلى انخفاض عدد الأولاد في الأسرة، بالإضافة إلى تراجع معدل خصوبة المرأة إلى ما دون الخط الأحمر أو مستوى الإحلال المقدّر بنحو ٢,٢ ولد للمرأة الواحدة.

لكنّ الصورة تتّضح أكثر في المسار الزمني لتراجع معدل خصوبة المراهقات (ولادات لكل ١٠٠٠ امرأة تراوح أعمارهن بين ١٥ و ١٩ عاماً). فكما يتبيّن من بيانات شعبة السكان في الأمم المتحدة، كان يبلغ عدد الولادات بين المراهقات ٨٥ ولداً في عام ١٩٦٠، ثم تراجع إلى ٤٩ ولداً في عام ١٩٩٠ (في نهاية الحرب الأهلية)، واستمر الانخفاض إلى ٢٥ ولداً في عام ٢٠٠٠، ثم ١٤ ولداً فقط في عام ٢٠١٨.

من المؤكد أن هذا التراجع في معدل الخصوبة سوف يتواصل نتيجة تفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية.

الأُسرة النواتية: تفاقم الشيخوخة

بحسب نتائج المسح في عام ٢٠١٨ طرأت أيضاً تغيّرات على الأسرة النواتية (المكوّنة من الأب والأم والأولاد). فقد انخفض حجمها نسبة إلى السكان المقيمين إلى ٣,٤ ومتوسط عدد الأولاد فيها إلى ١,٤ ولد. لكن ما يسترعي الانتباه هو التفاوت الشاسع بين المناطق؛ ففي بيروت انخفض حجم الأسرة النواتية إلى ٢,٨، وفي جبل لبنان إلى ٣,٢، وهناك تراجع بارز في أقضية جزين وكسروان والمتن وبشري وراشيا مقابل ارتفاع في حجم الأسرة النواتية إلى نحو ٤,٥ في عكار و٣,٩ في بعلبك الهرمل.

قراءة توزيع السكان بحسب الفئات العمرية تكشف المزيد من الشيخوخة في المجتمع اللبناني. ففي عام ٢٠١٨، لوحظ أن فئة صغار السن (دون ١٥ سنة) التي كانت تمثل كمعدل عام نحو ٢٩,٣% في عام ١٩٩٦، انخفضت إلى ٢١% مقابل ارتفاع في نسبة كبار السن من ٦,٨% إلى ١٣,١ % كمعدل وسطي عام مع وجود تباينات مناطقية كبيرة (كانت نسبة صغار السن في عكار ٤١,١% عام ١٩٩٦ مقابل ٥,٣% لكبار السن، لكنها انخفضت إلى ٢٩،١% عام ٢٠١٨ مقابل ٧,٢% لفئة كبار السن).

وتشير تقديرات البنك الدولي والأمم المتحدة إلى أن نسبة صغار السن انخفضت من ٣٨% عام ١٩٦٦ إلى٣٢,٧ % عام ١٩٩٠، و٣٠,١ % عام ٢٠٠٠، و٢٥,٦ % في عام ٢٠١٩ (هذه التقديرات تشمل جميع السكان المقيمين في لبنان).

هذه المعطيات والأرقام تكشف بوضوح عن تراجع حجم الأسرة، وتقلّص عدد صغار السن، أي إن المجتمع اللبناني يتحوّل نحو الشيخوخة. وهذا الأمر يتفاقم مع الأزمة الحالية قياساً على الأثر الناتج من الأزمة الحالية. في المستقبل ستكون التداعيات كارثية على الاقتصاد والمجتمع. هذا التحوّل يهدد مستقبل لبنان. فهل سيكون لبنان بلد الطفل الواحد في الأسرة عام ٢٠٣٠؟

*أستاذ جامعي وخبير في شؤون السكان والهجرة

وقبل نحو عشر سنوات من المسح الأخير، أي في عام ٢٠٠٩، نُفّذ المسح العنقودي المتعدّد المؤشّرات حول الخصائص السكانية. أظهر هذا المسح تراجعاً في معدلات الخصوبة وانخفاضاً في معدل عدد الأولاد للمرأة الواحدة إلى ١,٩. وبشكل عام، بلغ متوسط عدد الأولاد لكل أسرة، ولدين اثنين تقريباً. يومها كانت تركيبة الأسرة تتضمن في عام ٢٠٠٩ ترؤس النساء لنحو ١٥% من الأسر، من بينهن ٤٥% يبلغن ٦٥ عاماً وما فوق وهنّ أرامل وأميّات وأكثر من نصف هذه الأسر ليس فيها أعمار شابة، أو رجال يعيشون مع الأسرة. وتبيّن أن ٦% فقط من إجمالي الأسر التي لديها أطفال دون ١٥ عاماً، فيها خمسة أطفال أو أكثر، و٥٦% من السكان عازبون إلى جانب قلّة تبلغ ٥% من الأرامل والمطلّقين والمنفصلين وارتفاع في نسبة المسنّين الذين يبلغون ٦٥ عاماً وما فوق مقارنة مع البلدان المجاورة.

طرأت تحوّلات واضحة على تركيبة الأسر بعد عام ٢٠٠٧. ففي هذه السنة، كانت ٧,٣% من إجمالي الأسر مؤلّفة من فرد واحد وغالبيتها مسنّون ونساء وأرامل ومطلقات. لكن في عام ٢٠١٨ ازدادت نسبة الأسر المؤلفة من فرد واحد إلى ١٠,٢%، و١٨% للأسر المكوّنة من ٢ فقط (نسبتها مرتفعة في بيروت وجبل لبنان ما عدا الضاحية الجنوبية لبيروت التي سجّلت نسبة مرتفعة من الأسر المشكّلة من خمسة أفراد وأكثر، إلى جانب عكار والهرمل). أما الأسر المكوّنة من ٥ أفراد وأكثر فهي قد باتت تمثّل بين السكان المقيمين نحو ثلث مجموع الأسر المعيشية في لبنان.

وبموازاة ذلك، أظهرت الإحصاءات انخفاض عدد الأولاد في الأسرة في عام ٢٠٠٩ بسبب ارتفاع متوسط عمر المرأة عند الزواج الأول إلى ٢٧,٧ سنة. ثم تبيّن أنه في عام ٢٠١٨ انخفضت نسبة الزواج المبكر إلى ٣,٨ % للفئة العمرية ٢٠-٢٤ سنة. وتزامن ذلك مع ارتفاع في نسبة الذكور المقيمين الذين يتزوجون في عمر دون ٣٠ سنة، إذ لا تتعدّى نسبتهم في عام ٢٠١٨ نحو ٦,٥ % فقط، كما أن نسبة المتزوجين دون ٣٥ سنة تبلغ ١٥,٤% فقط.

أما على صعيد المحافظات، فقد ارتفعت نسبة غير المتزوجين من الجنسين إلى أكثر من ٣٦% في بيروت وجبل لبنان، و٤٠% في عكار.

أدّى ذلك إلى انخفاض عدد الأولاد في الأسرة، بالإضافة إلى تراجع معدل خصوبة المرأة إلى ما دون الخط الأحمر أو مستوى الإحلال المقدّر بنحو ٢,٢ ولد للمرأة الواحدة.

لكنّ الصورة تتّضح أكثر في المسار الزمني لتراجع معدل خصوبة المراهقات (ولادات لكل ١٠٠٠ امرأة تراوح أعمارهن بين ١٥ و ١٩ عاماً). فكما يتبيّن من بيانات شعبة السكان في الأمم المتحدة، كان يبلغ عدد الولادات بين المراهقات ٨٥ ولداً في عام ١٩٦٠، ثم تراجع إلى ٤٩ ولداً في عام ١٩٩٠ (في نهاية الحرب الأهلية)، واستمر الانخفاض إلى ٢٥ ولداً في عام ٢٠٠٠، ثم ١٤ ولداً فقط في عام ٢٠١٨.

من المؤكد أن هذا التراجع في معدل الخصوبة سوف يتواصل نتيجة تفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية.

الأُسرة النواتية: تفاقم الشيخوخة

بحسب نتائج المسح في عام ٢٠١٨ طرأت أيضاً تغيّرات على الأسرة النواتية (المكوّنة من الأب والأم والأولاد). فقد انخفض حجمها نسبة إلى السكان المقيمين إلى ٣,٤ ومتوسط عدد الأولاد فيها إلى ١,٤ ولد. لكن ما يسترعي الانتباه هو التفاوت الشاسع بين المناطق؛ ففي بيروت انخفض حجم الأسرة النواتية إلى ٢,٨، وفي جبل لبنان إلى ٣,٢، وهناك تراجع بارز في أقضية جزين وكسروان والمتن وبشري وراشيا مقابل ارتفاع في حجم الأسرة النواتية إلى نحو ٤,٥ في عكار و٣,٩ في بعلبك الهرمل.

قراءة توزيع السكان بحسب الفئات العمرية تكشف المزيد من الشيخوخة في المجتمع اللبناني. ففي عام ٢٠١٨، لوحظ أن فئة صغار السن (دون ١٥ سنة) التي كانت تمثل كمعدل عام نحو ٢٩,٣% في عام ١٩٩٦، انخفضت إلى ٢١% مقابل ارتفاع في نسبة كبار السن من ٦,٨% إلى ١٣,١ % كمعدل وسطي عام مع وجود تباينات مناطقية كبيرة (كانت نسبة صغار السن في عكار ٤١,١% عام ١٩٩٦ مقابل ٥,٣% لكبار السن، لكنها انخفضت إلى ٢٩،١% عام ٢٠١٨ مقابل ٧,٢% لفئة كبار السن).

وتشير تقديرات البنك الدولي والأمم المتحدة إلى أن نسبة صغار السن انخفضت من ٣٨% عام ١٩٦٦ إلى٣٢,٧ % عام ١٩٩٠، و٣٠,١ % عام ٢٠٠٠، و٢٥,٦ % في عام ٢٠١٩ (هذه التقديرات تشمل جميع السكان المقيمين في لبنان).

هذه المعطيات والأرقام تكشف بوضوح عن تراجع حجم الأسرة، وتقلّص عدد صغار السن، أي إن المجتمع اللبناني يتحوّل نحو الشيخوخة. وهذا الأمر يتفاقم مع الأزمة الحالية قياساً على الأثر الناتج من الأزمة الحالية. في المستقبل ستكون التداعيات كارثية على الاقتصاد والمجتمع. هذا التحوّل يهدد مستقبل لبنان. فهل سيكون لبنان بلد الطفل الواحد في الأسرة عام ٢٠٣٠؟

*أستاذ جامعي وخبير في شؤون السكان والهجرة

قراءة توزيع السكان بحسب الفئات العمرية تكشف المزيد من الشيخوخة في المجتمع اللبناني. ففي عام ٢٠١٨، لوحظ أن فئة صغار السن (دون ١٥ سنة) التي كانت تمثل كمعدل عام نحو ٢٩,٣% في عام ١٩٩٦، انخفضت إلى ٢١% مقابل ارتفاع في نسبة كبار السن من ٦,٨% إلى ١٣,١ % كمعدل وسطي عام

مع وجود تباينات مناطقية كبيرة (كانت نسبة صغار السن في عكار ٤١,١% عام ١٩٩٦ مقابل ٥,٣% لكبار السن، لكنها انخفضت إلى ٢٩،١% عام ٢٠١٨ مقابل ٧,٢% لفئة كبار السن).

وتشير تقديرات البنك الدولي والأمم المتحدة إلى أن نسبة صغار السن انخفضت من ٣٨% عام ١٩٦٦ إلى٣٢,٧ % عام ١٩٩٠، و ٣٠,١ % عام ٢٠٠٠، و ٢٥,٦ % في عام ٢٠١٩ (هذه التقديرات تشمل جميع السكان المقيمين في لبنان).

هذه المعطيات والأرقام تكشف بوضوح عن تراجع حجم الأسرة، وتقلّص عدد صغار السن، أي إن المجتمع اللبناني يتحوّل نحو الشيخوخة. وهذا الأمر يتفاقم مع الأزمة الحالية قياساً على الأثر الناتج من الأزمة الحالية. في المستقبل ستكون التداعيات كارثية على الاقتصاد والمجتمع. هذا التحوّل يهدد مستقبل لبنان. فهل سيكون لبنان بلد الطفل الواحد في الأسرة عام ٢٠٣٠؟

*أستاذ جامعي وخبير في شؤون السكان والهجرة